

الاربعة والحديث واللغة والادب والوعظ، وقال المقریزی عنه إنه في سنة 818 هـ بلغ عدد المنقطعين فيه لطلب العلم نحو 750 رجلا من مختلف بلاد المسلمين. وقال: "فلا يزال هذا الجامع عامرا بتلاوة القرآن ودراسته وتلقيه والاشتغال بأنواع الفقه والحديث والتفسير والنحو، ومجالس الوعظ وحلق الذكر".

ويطول بنا المقام لو ذهبنا نستقصى أخبار هذه المدارس وجهودها في سبيل نشر العلم، وقد سعدت البلاد في العصر المملوكي، بجملة مؤلفات ثمينة في تاريخ الاعلام ورجال الطبقات، ومن حسن الحظ أننا نستطيع أن نستخلص منها أخبارا قيمة عن حالة التعليم ومواد الدراسة ورجال التعليم، - ويفهم منها أن هذه المدارس كانت بمثابة الجامعات - وإذا غضضنا النظر عن الشكليات الحديثة، وجدنا فيها كل المعانى الجامعية، وفقد كان في كل مدرسة - على وجه الاجمال - عدد من الشيوخ، كل شيخ منهم أستاذ مادة من المواد المقررة، وقد يعينه في عمله بعض المعيدین، ودرسه مباح للطالب المنقطع لطلب العلم ومباح لغيره.

واعتماد كثير من الطلاب أن يلازموا شيوخهم. فيلازم الطالب شيئا من شيوخه يقع كل منهما من نفس الآخر موقع القبول، يلازمه في كل دروسه، حتى في دروسه المنزلية، فيتردد على بيته من آن لآن، وقد لازم شمس الدين السخاوى شيخه شهاب الدين بن حجر العسقلاني، وأخذ عنه كثيرا من علمه، وأجيز منه برواية مصنفته، وكان ابن حجر يرسل إلى تلميذه هذا ليفد إليه في داره إذا كان قد تهيأ لإلقاء درسه على طلابه.

وكان بعض الطلبة يطوفون على كثيرين من الشيوخ، حسب اختيارهم، فيلتمسونهم في دروسهم ولو تباعدت أماكن هذه الدروس. وروى أن محيى الدين النووى - رأس الشافعية في زمانه - كان وهو طالب يتلقى اثني عشر درسا في اليوم واللييلة، ورواه الذهبى في تذكرة حفاظه. واشتد حرص الطلبة على الرحلة في طلب الحديث الشريف، قطفوا لأجله بالمدن المصرية على حفاظه وروائه، ورحلوا إلى البلاد الشامية والحجازية وغيرها